تنبيه ع البسطة

لا تسيروا على خطى صبيحة

تصوير: Celian Ramis

وداد البرغوثي

تستدرجنا رام الله ، المدينة التي أحببناها واحتلت في نفوسنا منذ الطفولة موقعا، منذ كانت رؤيتنا لها أو "سفرنا" من القرية إليها يشكل تاريخا بالنسبة لنا. لذلك عندما كبرنا ظل هواها طفلا يمسك بتلابيبنا أينما ذهبنا، ويجبرنا على التوجه إليها.

لكن أشياء كثيرة تصدمنا رؤيتها. هذه الفوضى التي لا أول لها ولا آخر، فوضى في كل مكان.. السيارات المؤهّلة وغير المؤهلة للسير على الشارع ونقل الناس بكل ما تقتضيه أمانة كبيرة، كالمسؤولية عن أرواح البشر ..فوضى "الزوامير"..حتى عندما ينزل الشرطي لتنظيم السير ومراقبته تنشئ فوضى عارمة وأزمة خانقة تضطرك للوقوف عشر دقائق دون أي تقدم وسط رتل من السيارات وصراخ السواقين وتذمر الركاب.. تسأل ماذا حدث؟ الجواب : الشرطة على الطريق. فوضى السير ..فوضى البناء.. فوضى الباعة.. فوضى الاستغلال .

في رام الله التي أحببت، ذهبت لشراء حذاء لبني ولما لم يكن لدى البائع النمرة المطلوبة، فقد ألصق ورقة تحمل النمرة المطلوبة فوق نمرة أكبر منها وأعطاني الحذاء ، ولما رحت أبدله وجدته هو هو ولكن يحمل خدعة جديدة دون حياء أو دون أن يخطر بباله أي حيلة.

في رام الله التي أحبها حد العشق يستفزني منظر لشاب في أحسن هندام ويحمل حقيبة "سمسونايت" يمد يده إلى جيبه ، يتناول كومة من المحارم المستعملة ويرميها في الشارع دون أي مسؤولية أو وخزة ضمير. دون خجل من الناس أو من عيون الأسود الرابضة على دوار المنارة المحدقة في كل الاتجاهات، وحتى دون أي اعتبار لأناقته ذاتها. كل ذلك إلى جانب جيش محتل يدخل إليها وتزيح بلدوزراتهم سياراتها وبعض معالم شوارعها كما تزيل كومة قمامة.

أشياء كثيرة أكثر من أن تحصيها تواجهك يوميا، تثير اشمئزازك، وربما تبعث على شيء من الإحباط وأنت ترى المدينة التي أحببت ونما حبها فيك يوما بعد يوم. هذه المشاهد تشعرنا أننا بعيدون جدا عن تنمية حقيقية، وأننا ما زلنا في عرض بحر هائج مائج متلاطم الأمواج، وتفصلنا عن شاطئ الأمان عقود طويلة.

هذا الحال ليس حال رام الله فحسب، لكن عشقي لها وزيارتي اليومية فقط ما دفعني لأن أذكرها على وجه الخصوص . لكنها صورة عن كل المدن والقرى والمخيمات . وربما هي الأفضل حالا بينها وإن اختلفت التفاصيل.

الاحتلال مسؤول ، قياداتنا مسؤولة ، أجهزتنا مسؤولة، أحزابنا وتنظيماتنا مسؤولة ، فصائلنا المسلحة مسؤولة ، تجارنا مسؤولون ، نحن – المواطنين والمستهلكين– مسؤولون. عيبنا أن كلا منا يلقي المسؤولية على الآخرين ويبرئ نفسه، رغم أننا عند حدوث أي حدث إيجابي يدعي كل منا أنه ساهم في خلق هذا الإيجابي وكأننا نتبع " الحكمة" القائلة : الهزيمة يتيمة أما النصر فالكل أبوه. أو أننا نسير على "خطى صبيحة" التي قيل عنها المثل : "إذا أجت مليحة من صبيحة وإذا أجت عاطلة قولوا من الله". والله بريء من كل مصائبنا وأخطائنا وخطايانا. نحتاج إلى "مكارنكو" عصري كي يعيد تربيتنا من جديد.

ومضات الحياة

عن الخبز والقمر

كرمل العباسي

" أحب طعم رغوة الكابيتشينو بذرات الشيكولاته المطحونة فوقها، هل يشبه طعم حبكَ طعمها؟، مزيجٌ من بياض السماء وحلاوة مرة، هل يتأثر شعوري بطعم هذا الفنجان بما حوله كما هو حبكَ؟!

صوت آلة القهوة...

المذياع ....

صوت الجوال الذي لا يهدأ، نظرات شباب لم يتعودوا على وجود فتاة تجلس وحدها وبهذا المقهى بالذات!!، لماذا يَعجب الناس في مدينتي من فتاة تقمطُ شعرها بقبعة مستديرة ولا يأبهون بالمناديل إطلاقاً!!

للمناديل والقبعات مفارقة عجيبة،،،

الاثنان يقطنان بالمكان نفسه، أحدهما يخبئ أنوثة خجولة/جبانة، والآخر تقليعة صارخة من تقاليع الجمال الجديدة !!

هل للجمال تقاليع؟هل لحبكَ تقاليع؟ هل لحبكَ قبعة ومنديل؟!!

أجلس مقابل النافذة الضخمة أراقب المارة في الشوارع، لم يتعود أهل مدينتي على امرأة ضجرة تراقبهم!!

هل تعودت أنتَ على ضجري!!

للغياب طعم كطعم الشتاء،

الشتاء للحب،،

الشتاء للكتابة،،

"غزة في الشتاء جميلة جداً"

لها سحر خاص، جميع المدن لها سحر في الشتاء ولكن شتاء غزة خاص فهو مليء بالبرك في الشوارع والأطفال يصنعون قواربهم تحت المطر يلعبون بها، ويصنعون عواصف خاصة بهم وأميرات وحوريات لهم بعدما أصبح بحرهم__ بحر غزة__ عدة كيلو مترات فقط!!

هل لكل منكم حوريته ولكل منا فارس؟، هل أنت فارسي؟، إن الميثولوجيا هي من اختراع الإغريق وحدَهم، لربما اخترعوها حتى يجعلوا لحياتهم سبباً وجيهاً!!

هل وجود فارس سبب وجيه للحياة؟!!، في شوارع مدينتي جداريات كثيرة فكل جدران مدينتي جداريات بألوان مختلفة وخطوط مختلفة ولكنها ليست جداريات حياة بقدر ما تنطق بجنون الموت!!

في شوارع مدينتي الكثير من الرجال والقليل من الألوان هل للمدن جنسٌ واحد؟؟!

أذكر صديقاً قديماً جاء وذهب دون أن أراه، لاشعور بالزمن لمن يقطنون هذه المدينة ولا وقت يكفي ليشبع رغبة من يمرون بها!!

"كان يجب أن تختاري لوناً للحذاء يناسب لون حقيبتك" قالت صبية تجلس خلفي لصديقتها، لمقاييس الألوان عندنا قانون خاص!!

فتجد في خزانة كل منا الكثير من الألوان والحقائب والأحذية والبناطيل والمساحيق والقليل من المنطق!!

هل مستحضرات التجميل هي مقياس أنوثتنا؟! يا ترى ماهو مقياس إنسانيتنا؟؟

أيقظني صراخ مثقفينا الذين يجلسون بجواري من هذه التصنيفات التي شغلت نفسي بها دون سبب وجيه!!

تذكرت قول الروائية إيزابيل أللليندي "يمكنني الكتابة دوماً لو منحت نفسي الوقت والصمت لأصغي إلى الشخصيات" وأنا هنا أقول يمكنهم إراحتنا من صراخهم والتوصل إلى نقاش مفيد لو أنهم أسقطوا شعار دعونا نتكلم ورفعوا شعار دعونا نسمع ونفهم!!

لقد اختلفوا حول الخبز والقمر!!

" إنه رغيف خبز صعب المنال وسط هالات الظلام التي تحيط بنا ، إنه يمثل أطفالنا الحفاة الذين يحلمون بقطعة من هذا الرغيف " هذا ما قاله أحدهم وهو يشير إلى لوحة من رسم صديقه وهو منفعل يلعن الليبرالية التي جعلتنا نشحذ على أبواب أمريكا .

ولكن آخرَ صرخ بوجهه إنه قمر يسبح وسط العاصفة يبعث لأطفالنا العراة الأمل بأننا سنلبس يوماً ما نريد ، و سنختار ملابسنا ولن نشحذها، فاتهمه صديقه بالنرجسية والفوقية وأنه من هؤلاء الذين لا يقيسون الأمور إلا على أنفسهم .

هوية الخبز/القمر كانت رسمة على لوح ستُمحى ليرسموا أشياء أخرى قد نختلف أيضاً على هويتها ونعود لنمحوها ، قد نتجرأ على مناقشة هوية أشيائنا جميعها ولكن لن نفكر بمناقشة هويتنا التي هي أكثر ما نختلف عليه دون أن نمحوه ودون أن ندري .

وهنا فلنأتِ لمعطياتنا في الحقائق الثابتة و الراسخة بعيداً عن الانتماءات و الأفكار التي ستدخلنا إلى التأويلات المختلفة و التي ستعقد الموضوع :

المسمى	الأصل	مكان الإقامة	جواز السفر	بطاقة الهوية	الميلاد
مواطن	غزة/ الضفة	غزة/الضفة	فلسطيني	فلسطينية	غزة/ الضفة
لاجيء	أراضي 48	مخيمات الشتات	وثيقة سفر؟؟	؟؟	مخيمات الشتات
أبناء المغتربين	أراضي 48	دولة أجنبية	أجنبي	؟؟؟	دولة أجنبية
عائد	أراضي 48	غزة/ الضفة	فلسطيني	فلسطينية	مخيمات الشتات
مغترب	أراضي 48	دولة أجنبية	أجنبي	فلسطينية	غزة /الضفة
عرب الداخل	أراضي 48	أراضي 48	(إسرائيلي)	(إسرائيلية)	أراضي 48
لاجيء	أراضي 48	غزة/الضفة	فلسطيني	فلسطينية	غزة/ الضفة

وغيرها من حالات و ظروف أخرى نعيش فيها جميعاً و ينمو فيها أطفالنا دون أن نعرف كيف سنثبت تلك الهوية لدينا. عندما تعرفت إلى الكثيرين في الخارج كان أغلبهم يعرف البلدة أو المدينة الأصلية التي ينتمي إليها و لكن أحداً لم يعرف موقعها على الخارطة التي قلما تجد أحداً يعرف كيف يرسمها .

ربما نحاول جاهدين أن نحفظ تلك الأسماء و بعض الحركات في دبكتنا لنثبت ما ولدنا من أجله نلبس أثواب قريتنا الأصلية ، نحاول أن نتعلم كيف نطرز التطريز الفلاحي من جداتنا و أمهاتنا ، نتعلم أن نطبخ (المسخن)، نحاول أن نرسم مدناً لم نرها من قبل . نفعل ما يمكنه أن يزيل المتناقضات بيننا رغم المساحات الكبيرة والعميقة بيننا ، نحاول أن ننقش الهوية دائماً في صدورنا ولكن .. هل ستمحى هذه الصور وهل سنتفق على إجابة أم ستبقى مثل الخبز/ القمر؟!

البيدر

رئيس التحرير: د. نادر سعيد

سكرتاريا التحرير: عماد الصيرفي، أيمن عبد المجيد، راقية ابو غوش، رامي مراد

التدقيق اللغوي: مؤيد الديك

بدعم مالي من المعهد الجمهوري الدولي

With Support From The International Republican Institute

مطابع الأيام ٢٩٨٧٣٤١/٤ فلسطين - رام الله

الآراء الواردة في البيدر تعبّر عن وجهة نظر كتابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المؤسسات القائمة عليه